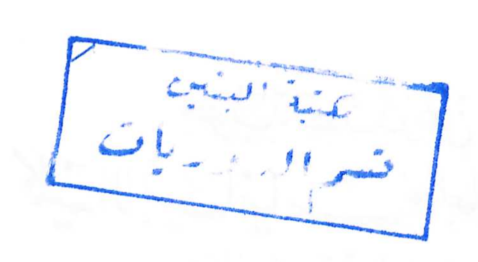


جامعة قطر



حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

العدد الحادي عشر
١٤٠٩ هجرية - ١٩٨٨ ميلادية

هجرة الدّواسر من البحرين

(١٩٢٣-١٩٢٨م)

د. فتوح عبدالمحسن الخترش
استاذ مساعد قسم التاريخ - جامعة الكويت

تمهيـــد :

يرتبط البحث في هجرة قبيلة الدواسر العربية من البحرين الى الدمّام عام ١٩٢٣ والعودة إليها عام ١٩٢٨ وما رافق ذلك من أحداث ومواقف ، بمعرفة العلاقات التي كانت سائدة بين البحرين وجاراتها من الامارات العربية وبخاصة سلطنة نجد ، والدور الذي لعبته بريطانيا إزاء هذه القضية مما ينبىء عن أبعاد سياستها في البحرين خاصة ، والخليج عامة .

لقد وقفت بريطانيا ـ متمثلة في سلطة الحماية من خلال المعتمد السياسي البر يطاني في البحـرين والمقيم السياسي في بوشهر ، وحكومة الهند ووزارة المستعمرات موقفاً معادياً لقبيلة الدواسر ، وحاولت بطرق شتى أن تعمق هوّة الخلاف بينها وبين شيخ البحرين ، وأن تستثمـر هذا الخلاف بما يخدم مصالحها في محاولة تقوية طرف على حساب طرف آخر ، ومن خلال محاولاتها المستمرة للتدخل في شئون البحرين الداخلية ، متجاهلة الثقل الوطني والاقتصادي والاجتماعي والديني لهذه القبيلة ، التي تمثل شطراً نشطاً منتجاً من شعب البحرين العربي .

وتبدو من خلال أحداث هذه القضية ومواقفها قوة الرابطة العربية بين قبائلها إزاء المكر الاستعماري والحرص على الوحدة الوطنية ، والموقف الذي وقفته السلطة الوطنية البحرينية متمثلة في شيخها حمد بن عيسى آل خليفة ، الذي لم يستجب للضغوط البريطانية وكان له الفضل في حل قضية الدواسر وعودتهم الى وطنهم وأرضهم .

أصل الدواسر وموطنهم :

جاء في معاجم اللغة أن الدواسر هو الضخم الشديد ، وكتيبة دوسر : ودوسره أي كتيبة مجتمعة .

وجمل دوسر ، دوسري ، ودوسراني ، ودواسري : ضخم شديد مجتمع ذو هامة ومناكب .

وجاء أيضاً ، الدوسر : القديم وكانت قبيلة بنو سعد بن زيد تلقب في الجاهلية بقبيلة دوسر[١] .

كذلك ورد ايضاً أن الدوسر هو الاسد ، ووادي الدواسر أى (وادي ـ السباع)[٢] .

والدواسر قبيلة من أكبر قبائل العرب مركز سكناها وادي الدواسر في نجد الجنوبية ، على أنها منتشرة في كافة أنحاء الجزيرة العربية ، منها الحضر سكان المدن والقرى ، ومنها البدو ، وهي تنسب الى « مرهبة الدوسر » وقد أوصل الهمداني في كتابه الاكليل نسب مرهبه الى حاشد من قبيلة همدان الكبرى[٣] .

والمعروف أنهم سكنوا جنوب نجد في منطقة واسعة مترامية الاطراف تعد من أخصب مناطق جزيرة العرب وأكثرها مياهاً وأصلحها انتاجاً واطيبها مرعى .

وقد ذكر الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس ـ صاحب معجم اليمامة ، بأن الدواسر قبيلة قحطانية أزدية شهيرة ويلتحق بها بطون وأفخاذ وأسر عدنانية جمعتهم الدوسرية بالحلف . . وحدودهم من الشرق الدهناء ، ومن الشمال الشرقي تمتد هذه الحدود حتى تأخذ قسماً من العرقلة ، ومن الخرج تذهب مغربة مارة ببرك فالدبيل فالسوادة الى الهشب

---

١) لسان العرب لابن منظور ـ مادة (دوسر) .

٢) الموسوعة الكويتية ج حـ : ص ٥٩٧ .

٣) مقدمة ديوان عبد الله الفرج : خالد الفرج ص ١٣ ذات السلاسل .

(هضب آل زيدان) ومن الغرب مدافع بيشه وتثليث ، ومن الجنوب تستدخل حدودهم قسماً كبيراً من الربع الخالي وأسفل نجران[٤] .

وكان يسكن هذه البلاد قبل الدواسر عقيل وجعدة وقشير وعامر وتميم وحنيفة وهزان وغيرهم من القبائل ، ثم هاجر كثير منهم بعد انتهاء حكم بني الاخيضر في اليمامة ، وتوالي الجدب والقحط عاماً بعد عام مما هيأ الفرصة لأقوام آخرين أن يزحفوا اليها ويسكنوها .

فجاءها الدواسر من تهامة ومن السردات كما جاء غيرهم ، إلّا أن الكثرة كانت للدواسر ، فعمّروها وأخصبوها وتسمّت بهم وصارت لهم موطناً[٥] .

هجرة الدواسر من نجد :

خرجت أعداد كبيرة من الدواسر من موطنهم الأصلي في نجد ، باحثين عن مستقر لهم كشأن من ينزح من القبائل في شبه الجزيرة العربية طلبا لمواطن أخرى يجدون فيها ما افتقدوه في مواطنهم الأصلية .

والأرجح أنهم استقروا بعد طول ترحال في الشواطىء الشرقية للخليج في الاحساء[٦] . ثم انتقلوا بعدها الى شبه جزيرة قطر حيث جاوروا العتوب قبل أن ينتقلوا مع آل خليفة الى البحرين ، يدل على ذلك أمران : الأول : ـ اتقانهم لأعمال البحر ، فيكونون قد أتقنوها أثناء اقامتهم في الزبارة كما أتقنتها قبائل العتوب ، والثاني استعانة آل خليفة بهم في فتح البحرين إذ انطلقوا من الزبارة عام ١٧٨٣ .

ويذكر الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس في معجم اليمامة[٧] ، بلاداً كثيرة نزلها

---

٤) عبد الله بن خميس : معجم اليمامة جـ ١ : ص ٤٤٦ .
٥) المرجع السابق ـ ص ٤٤٧ .
٦) جمال زكريا : الخليج العربي : ص ٢٠٤ .
٧) معجم اليمامة : ج ١ ص ١٤٠ .

الـدواسر « الصخـابـرة ، والشكـره[٨] ، والبياض[٩] ، والبـير[١٠] ، وتمـرية[١١] ، ودقلة[١٢] ، وكلها من مواطنها الاصلية .

ويذكر خالد الفرج في ترجمة كتبها لعبد الله الفرج ، أن قبيلة الدواسر كانت تسكن بلدة « نزوى » من وادي الـدواسر ، وهاجرت أواخر القرن الحادي عشر من الوادي لأسباب مجهولة ، وتجولت في ضفاف الخليج إلى أن سكن والد عبد الله الفرج مدينة الزبارة من بلاد قطر التي كانت عامرة في ذلك الوقت[١٣] .

ولم يكن الدواسر القبيلة الوحيدة التي نزحت من مواطنها واستقرت في البحرين ، فقد ذكـر المؤرخـون جماعـات عربية أخـرى فعلت فعلهـا وهاجرت من مواطنها وسكنت البحرين : مثل « السادة » و« آل بو علي » و « بني ياس »[١٤] .

كذلـك لم ينتقل الدواسر الى البحرين في هجرتهم الأولى من نجد دفعة واحدة ، والأرجـح انهم توافـدوا على دفعات كانت أهمها وأكبرها تلك الدفعة التي تحدثنا عنها وشاركت في فتح البحرين واستقرت في البدع وعمرتها .

واستـطاع الدواسر بعد استيطانهم في الساحل الشرقي من الخليج واستقرارهم في البحـرين أن يصبحـوا من القبائل البحرية التي تعمل بالغوص على اللؤلؤ والزراعة وأسسـوا لأنفسهم مجتمعـاً مزدهراً في منطقة البدع بالبحرين ، فغدت « البدعية » أو « البدعة » كما كان يطلق عليها مدينة عامرة بهم وبأنشطتهم التجارية والبحرية حتى لم يكـد يسكنها أحد سواهم .

ومن الواضح أنهم أتقنوا ركوب البحر والأعمال البحرية من غوص وملاحة كغيرهم من القبائل النجدية حين جاوروا آل خليفه في الزبارة .

---

٨) نفس المرجع ص ١٩١ .

٩) نفس المرجع : ص ١٩٣ .

١٠) نفس المرجع : ص ٢٠٢ .

١١) نفس المرجع : ص ٤٢٩ .

١٢) مجلة الكويت : عبد العزيز الرشيد : الجزء الاول ـ السنة الاولى ـ رمضان ٣٤٦، شباط ١٩٢٨ .

١٣) خالد الفرج : مقدمة ديوان عبد الله الفرج : ص ١٣ .

١٤) فائق طهبوب ـ تاريخ البحرين السياسي ـ ص ٦٨ .

علاقة الدواسر بآل خليفة :

جاور الدواسر آل خليفة في الزبارة ، ولا شك في أن تقبل آل خليفة لهذا الجوار تأكد حين استعانوا بالدواسر أثناء الحملة على البحرين وما ينبىء عن وجود علاقة سابقة بين الطرفين .

وحين نعود الى أيام « نجد » حين كان الطرفان فيها ، لا نجد ما يشير الى علاقة حسنة بينهما ، بل على العكس ، نجد العلاقة يشوبها شيء من الخصومة .

فقد ذكر الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة(١٥) ، أن السبب في ارتحال آل الصباح واخوانهم آل الخليفة من موطنهم الأصلي من الهدّار هو النزاع الذي حدث بينهم وبين بني عمّ لهم مما أدى إلى خروجهم من البلد (أي أخرج آل الصباح وآل خليفة خصومهم كما تقول الرواية) .

ثم ان هؤلاء الخصوم استعدوا الدواسر على آل خليفة والصباح ، فزحف الخصوم والدواسر على الهدّار وتم لهم الاستيلاء عليها ، وأخرجوهما ولازال قسم من الدواسر وبقية من « جميلة وائل » يسكنون الهدار إلى الآن(١٦) .

وسواء صحت هذه العبارة أم لم تصح ، فإن العلاقة القديمة بين الدواسر وآل خليفة كانت قائمة بشكل أو بآخر ، باعتبارهم كانوا في موطن واحد ، أو في جوار سابق ، وأنهم في المـوطن الجديد في قطر أقرب إلى بعضهم البعض من سواهم ، فتجاوروا وتحالفوا وحاربوا معاً في صف واحد ، يضاف الى ذلك ما عرف عن الدواسر في الجزيرة العربية من مسلك حسن ومن ثروة طائلة(١٧) .

وباستقرارهم في البحرين ترك أثر فعّال في التكوين الطبوغرافي للسكان اذ أسهموا في ترجيح كفة المواطنين السنة ازاء الغالبية الشيعية التي كانت سائدة من قبل والتي كانت

١٥) رسالة محمد بن عيسى الخليفة الى سيف مرزوق الشملان من تاريخ الكويت ـ ص ١٠٤ وقد نسب هذه الرسالة الشيخ عبد العزيز الرشيد في كتابة تاريخ الكويت ـ ص ٣٥ الى الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة .

١٦) سيف مرزوق الشملان : من تاريخ الكويت ـ ص ١٠٦ .

١٧) حافظ وهبة : جزيرةالعرب في القرن العشرين : ص ١٠٤ .

تتألف من الجماعات العربية التي سكنت ساحل الاحساء والبحرين في العهود الأموية والعباسية [١٨]

وقد سبق أن الدواسر سكنوا منطقة البدع فعمروها واشتغلوا بأعمال البحر وبالزراعة وبالتجارة ، وكان أكثر عملهم البحري في الغوص على اللؤلؤ فكانت لهم مراكب كثيرة وكان منهم نواخذة كثيرون ، استعملوا رجالاً منهم كغواصين . واشتغلوا وبالتجارة البحرية ، وامتلكوا المراكب الكبيرة والصغيرة . أما عملهم الزراعي فكان أكثره في مزارع النخيل التي امتلكوها في البدع ، وكان لنشاطهم هذا أثر في ازدهار الحياة الاقتصادية للبحرين ، وقد نالوا لذلك رضى حكامها آل خليفة الذين وجدوا فيهم مواطنين عاملين منتجين ، كما لم يجدوا لديهم أية مطامع في السلطة ، فلم يكونوا كحلفائهم الجلاهمة الذين أسسوا في فترة لاحقة مقراً لهم على ساحل قطر .

وقد أدت خصائص الدواسر هذه إلى تأهيلهم على امتيازات كثيرة، فأعطيت لهم الأراضي وأعفوا من الضرائب التي كانت مفروضة على من سواهم .

وهذه هي الأحداث التي تسجل حركة قبيلة الدواسر منذ منتصف عام **١٩٢٣** حتى عودتهم إلى البحرين ـ فبراير **١٩٢٨** وهي تشكل نموذجاً لدراسة تاريخ هجرة وعودة الدواسر إلى البحرين .

ولكي نعرف إرهاصات هذه الحركة لابد لنا أن نعرف أن البحرين قد واجهت حركات لم تكن بقوة هذه الحركة وأهمها أحداث عام **١٩١٩** وأحداث **١٩٢٢** وغيرها وهي أحداث جرت بسبب محاولة حكومة الهند البريطانية ممثلة بالمعتمد البريطاني (الذي عرف باسم مستشار حكومة البحرين) في تطبيق قوانين الهند البريطانية في القضاء والضرائب وادخال إصلاحات جديدة لأنظمة الغوص والإدارة المالية والشرطة والتعليم .

ولقد رفضت تلك الإجراءات إلّا أن بريطانيا أقرتها في النهاية رغم المعارضة الشعبية والتأييد من قبل شيخ البحرين الشيخ عيسى بن علي .

---

١٨) الرميحي : البحرين ومشكلات التغير الاجتماعي ص ٢٩ ـ ٣٨ .

أسباب مشكلة الدواســـر :

عارض الدواسر فرض قوانين حكومة الهند عليهم مستندين الى عوامل عدة أهمها :

١ ـ أنهم درسوا الوضع السياسي في شرق الجزيرة العربية بحنكة ودراية ووجدوا أن ابن سعود يعتبر حليفاً قوياً يمكنهم الاعتماد عليه حين يرفعون لواء الثورة أو يهددون بالهجرة .

فإن ابن سعود كان في هذه الفترة يمثل قوة ضاغطة على جميع إمارات المنطقة إن كانت البحرين ، أو الكويت ، أو قطر رغم أن تلك الامارات كانت تحت الحماية البريطانية الّا أن نفوذ ابن سعود كان مؤثراً عليها مما كان يثير حفيظة الانجليز .

٢ ـ عرف الدواسر وزنهم الوطني والاجتماعي والديني لكونهم يشكلون قوة بشرية تقف دائماً إلى جانب حكام البحرين وقدروا أن هجرتهم سوف تؤثر في التركيبة السكانية باعتبارهم العنصر العربي السني الأكثر عدداً ووزناً .

٣ ـ يشكـل الـدواسر قوة مالية كبـيرة جدا في شرق الجزيرة العربية نتيجة لتجارتهم البحـرية وعملهم بالغـوص على اللؤلؤ وامتـلاكهم مزارع النخيل الـواسعـة في البحرين ولتشغيلهم لأكبر قطاع عمالي في سفنهم .

٤ ـ تعتبر قبيلة الدواسر من القبائل التي لها امتداد بشري على الساحل الشرقي للجزيرة العربية في الاحساء والدمام والعقير ومن ثم تهديدهم بالانتقال معتمدين على قوة قبيلتهم ووزنها البشري في الساحل الشرقي .

وهناك أسباب أخرى وردت في الكتابات القليلة المحدودة التي تناولت موضوع هجرة الدواسر بطريقة أو أخرى وإن كانت تتفق جميعاً في سياقها العام .

فقد ذكر خالد سعود الزيد ـ أن قبيلة الدواسر ثارت لقيام ميجر ديلي بانقلاب على الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وقبضه على كافة السلطات بيد من حديد وكبته للحريات وأسره لزعماء البلاد وزجهم في السجون ، وأن هذه القبيلة نزحت عن البحرين غضباً لعزل هذا الشيخ فسكنت الدمام[١٩] .

١٩) أدباء الكويت في قرنين ـ جـ ١ ـ ص ١٦٥ .

كما أشار الشيخ عبد العزيز الرشيد الى هجرة الدواسر حين ضرب بهم المثل في الآباء ، إذ قال في معرض الحديث عن آباء آل الصباح حين هجروا موطنهم الأصلي في نجد : « ولنا في صدق هذه النظرية دليل شاهده الكل وهو هجرة الدواسر من البحرين وسكناهم الدمام »[٢٠] .

فالواضح من هذين النصين أن الدواسر كانوا ممن عارضوا التدخل البريطاني السافر في شئون البحرين الداخلية ، وأنهم عانوا من هذا التدخل حين تعرضوا لضغوط مسّت مصالحهم وأنهم كانت لهم مطالب معينة أيدها شيخ البحرين ورفضها المعتمد البريطاني وأنهم هددوا بالنزوح والهجرة من البحرين ، ونحن نستشف ذلك من الرسالة التي بعث بها المقيم البريطاني في بوشهر إلى حكومة الهند حول قبيلة الدواسر .

لدى البدء بعملية الإصلاح في البحرين عام ١٩٢٣ ، قامت هذه القبيلة بأعمال مزعجة ووجد أن من الضروري معاقبتهم بفرض غرامة مالية قدرها ١٥ ألف روبية على شيخ القبيلة . ولقد تم دفع الغرامة ، ولكن بدلاً من التسليم بالحكم الجديد آثرت القبيلة ترك بلدتها البدع والهجرة إلى الدمام على ساحل القطيف ، تاركة ممتلكاتها في البحرين وكذلك حقوقها من الناحية النظرية لا العملية في استعمال مغاصات اللؤلؤ البحرينية[٢١] .

وفي الحقيقة كان توقيع هذه العقوبة بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير .

وتظهر إحدى الوثائق البريطانية وهي مراسلة تمت بين المعتمد البريطاني في البحرين إلى المقيم السياسي في بوشهر يدعي شيخ البحرين أن الدواسر غادروا البحرين خوفاً من الحكومة ، وأنهم اشتركوا في هجوم على قرية « عالي » التي يسكنها كثير من الشيعة ، واتهموا بقتل اثنين من رجال الدين وخافوا من عقوبة الحكومة[٢٢] .

من ذلك كله يتضح وجود أسباب مبدئية أساسية لثورة الدواسر التي عبروا عنها بالنزوح والهجرة معلنين بذلك عن سخطهم واستنكارهم لإجراءات تسلطية يقف وراءها الميجور ديلي الذي لم يكن له الحق في التدخل بشئون البلاد، وهناك أيضاً أسباب

٢٠) تاريخ الكويت : عبد العزيز الرشيد ـ ص ٣٤.

٢١) رسالة من المقيم البريطاني في بوشهر الى حكومة الهند في ٤ ديسمبر ١٩٢٦ S-517. R/15/1/346 N .

٢٢) نفس المصدر ـ من المعتمد البريطاني الى المقيم السياسي في بوشهر ، رقم ٥٣ / ت ٢٤ / ابريل ١٩٢٧ .

ثانوية وأكثر مباشرة كتوقيع العقوبة المالية التي اعتبروها بمثابة استهتار بهم وبوزنهم ونكراناً لسابق فضلهم ، وامتهاناً لكرامتهم كمواطنين مميزين ، ولم تمنع معرفتهم بوقوف الانجليز بشخص ديلي وراء تلك العقوبة من التغاضي عنها لكنهم أخذوا من الظاهر أكثر من معرفتهم بالباطن إذ أن القرارات وتوقيع مثل تلك العقوبات كانت تصدر باسم شيخ البحرين على الرغم من وقوف سلطة الحماية البريطانية وراء إصدارها .

ولعل هذا ينطبق على ما جاء في الوثيقة الخاصة باشتراكهم في الهجوم على « عالي » واتهامهم بقتل شخصين إذ لم يعاملوا في معالجة هذه الحادثة كما ينبغي أن يُعامل أمثالهم ، وربما أشاع الانجليز بهذه الحادثة أنها من الأعمال الاجرامية ، بدليل وصف مماثل ورد في إحدى مراسلاتهم التي تمت فيها بعد[٢٣] ، وقد أكثرت سلطة الحماية من استعمال أوصاف ونعوت ألصقتها في الدواسر أكثر من مرة كقولها أنهم « عصاة ، ومتمردون بل وجناة » ، في الوقت الذي لم يشجب شيخ البحرين ذلك ، أو لم يقف من ذلك موقفاً يخفف من قسوة وقع ذلك على نفوسهم فقاموا بالنزوح بعد أن لوحوا به فلم يؤبه لهم ، بل هددهم الانجليز - على لسان شيخ البلاد (ولو شكلياً) بأنهم سيدفعون الثمن باهظاً فيما لو نفذوا تهديدهم ونزحوا عن البلاد .

بداية المشكلة

فقد قام الدواسر كعادتهم كل عام بالخروج الى رحلة الغوص صيف ١٩٢٣ ، وبعد انتهاء ذلك الموسم رجعوا بسفنهم الى الدمام ، ولقد وجدوا ترحيباً ودعماً من ابن مسعود الذي أعطاهم أموالاً وأسلحة باعتبارهم قوة جديدة تضاف الى قوته في المنطقة ، ومهدداً في المستقبل بضرب جزيرة البحرين من خلال حقوقهم وأملاكهم فيها ، وقد أثار وجودهم في الدمام حالة من الرعب والخوف نظراً لقرب مدينة الدمام من ساحل البحرين[٢٤] ، لذلك فقد حاول شيخ البحرين الاستعانة بالقوة البريطانية البحرية للرد على تهديدهم .

وقد تدارست بريطانيا الوضع ووجدت أن الدعم السعودي للدواسر يعتبر أمراً

٢٣) رسالة المعتمد البريطاني في البحرين ، إلى المقيم السياسي في بوشهر ، رقم ١٢١ / ١ / ١٥ بتاريخ ٢٤ مايو ١٩٢٤ .

٢٤) رسالة من المعتمد في البحرين الى المقيم السياسي في بوشهر رقم ٣٤ / ت بتاريخ : ٣٠ يناير ١٩٢٤ .

خطيراً نظراً للأنباء التي وردت الى المعتمد في البحرين في ٣٠ يناير ١٩٢٤ ومفادها أن الـدواسر قد حصلوا على أمـوال وأسلحـة وأن ابن سعـود بدأ يعدهم لكي يستعيدوا أملاكهم في البحرين بالوسائل السياسية أو بالقوة .

ولقد رفع الدواسر رايات الحرب في الدمام مما جعل الحكومة البر يطانية تضع السفينة كروكس مقابل ساحل الدمام وطلب المقيم البر يطاني في بوشهر من وزارة المستعمرات في ٣١ يناير ١٩٢٤ السماح له بتوجيه تحذير الى ابن سعود بأنه « مادام الدواسر قد غادروا البحرين بإرادتهم ، ومادام ابن سعود قد سمح لهم بالإقامة في أراضيه فإن بريطانيا لا تستطيع القبول بأن له الحق بإعادتهم ثانية إلى البحرين ، وكذلك فإننا نعتبر أن من واجبه ـ مادام قد آواهم ـ أن يمنعهم من الاغارة على البحرين[٢٥] . ثم طلب المقيم السياسي من حكومته أن توافق على أن تطلب من ابن سعود إجلاء الدواسر من الدمام الى مكان أبعد منها حتى لا يشكلوا أي تهديد للبحرين .

ردّ الفعل السعــودي

كان لمضمـون هذه الـرسالة الذي وضع موضع التنفيذ وللتحذيرات الأخرى التي تبعتها أثرها على ابن سعود الذي زعم أنه يناصر الدواسر لكنه يقف دون تصفية أملاكهم في البحرين عن طريق البيع أو التأجير أو المصادرة ، إلا أنه لم يقم بعمل حاسم لمناصرة الدواسر في هذه الأزمة لانشغاله في أزمات داخلية أخرى[٢٦] .

هذا كان يجري والسفينة كروكس ـ التي كانت هي السفينة الوحيدة في الخليج في هذه الفترة ـ ترابط أمام ساحل الدمام تحول دون قيام الدواسر بأية مغامرة خشية مواجهة البحرية البر يطانية ، خاصة بعد أن علموا أن حكومة الهند طلبت من قائد وحدات مسقط البحرية البدء بتجنيد وتدريب بعض الرجال على المدمرات لحين تعيين قائد في البحرين[٢٧] .

٢٥) من المقيم السياسي في بوشهر ، الى وزارة المستعمرات رقم ١٠ / ١٦٩ ـ بتاريخ ٣١ يناير ١٩٢٤ .
٢٦) مشاكله مع الشريف حسين في الحجاز.
٢٧) من المقيم في بوشهر الى وزارة المستعمرات ـ رقم ١٠ / ١٦٩ ، بتاريخ ٣١ / يناير / ١٩٢٤ .
المادة السادسة من معاهدة ١٩١٥ : يتعهد ابن سعود كما تعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجاوز وتداخل في أرض الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية انجلترا والذين لهم معاهدات معها .

ونتيجة للإنذارات البريطانية المتلاحقة التي وجهت لابن سعود ملوحة بالضغط عليه عن طريق عدم تزويده بالامـدادات والمؤن التي كانت تأتيه من الهنـد والعراق وبأن بريطانيا قد تضغط في سبيل استعمالها إذا ما استمر في تجاهل المادة السادسة من معاهدته المبرمة مع الحكومة البريطانية (١٩١٥)[٢٨] ، تراجع ابن سعود عن موقفه تجاه الدواسر وعرض عليهم تغيير موطن سكنهم من الدمام إلى الجبيل فرفضوا هذا العرض لأسباب منها :

أولاً : أنهم رأوا أن الجبيل منطقة نائية عن البحرين.

ثانياً : أن انتقـالهم إلى الجبيل سيجعلهم تحت سلطة ابن سعود ، وقد يتعرضون في المستقبل لبطشه وسيطرته عليهم .

ثالثاً : إن وجودهم في الدمام سيمكنهم من إرهاب شيخ البحرين وبالتالي سيكون في مقدورهم العودة إلى أملاكهم في البدع وقتما يشاؤون[٢٩] .

لكن هذا السبب الأخير بدأ يفقد أهميته بالنسبة إلى الدواسر عندما وجدوا أن البحرية الـبريطانية لا تكتفي بالتجـول قبـالـة الـدمام ، بل أنها بدأت تصوب مدافعها نحو مستـوطنـاتهم الجـديدة[٣٠] . بينـما أخـذوا في الوقت نفسه يواجهون فتوراً في الدعم السعودي نظراً لمرض ابن سعود في تلك الفترة من مارس **١٩٢٤** ولوجود حركة عصيان من جانب جماعة الإخوان .

ويتضح هذا الموقف من الدعم السعودي من خلال رسالة سلطان نجد المؤرخة في **٢٢** فبراير **١٩٢٤** المرسلة إلى المقيم السياسي في بوشهر رداً على رسالته في **١٤** فبراير ،

---

٢٨) من المقيم في بوشهر الى وزارة المستعمرات رقم ٩٩٤ R/15/1/334 بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩٢٣ .

٢٩) من المقيم في بوشهر الى وزارة المستعمرات رقم ١١ / ١٤٠ ـ ٢٢ فبراير ١٩٢٤ .

٣٠) المصدر نفسه :

ـ ثورة الاخوان على ابن سعود بسبب استخدامه الوسائل الحديثة للاتصال البرقي واللاسلكي . (أول مؤتمـر للاخـوان) وذكـر فؤاد حمزة ان ثورة الاخـوان الحقيقية على السلطان عبـد العزيز هي دعوتهم لمحاربةابن الرشيد، وعدم التعرض للشريف حسين صديق الانجليز وكان فيصل الدويش يكره الانجليز كرهاً شديداً .

ـ راجع فؤاد حمزة ص ٢٨٩ .

ـ راجع حافظ وهبه ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ـ جزيرة العرب في القرن العشرين .

حيث أنكر ابن سعود الشائعات التي راجت حول تشجيعه لقبيلة الدواسر أو أنه تحدث إليهم حول استعادة ممتلكاتهم في البحرين ، ولقد أطلق على أفراد القبيلة المناوئين لشيوخ البحرين لقب « المهاجرين » ويبدو أنه كان يعتزم إعطاء الموضوع طابعاً دينياً وينصب نفسه حامياً للتقاليد الإسلامية(٣١) .

وفي الحقيقة أن تطبيق أصول الشرع كان فيما مضى الملجأ الأخير الذي يلجأ إليه الدواسر ، فكلما حادوا عن الصواب كانوا يلجأون دائماً إلى التسليم بما يقرره الشرع ، وبما أنهم كانوا قبيلة كبيرة في البحرين ، فقد كانت الأحكام عليهم تصدر بالبراءة حيث كان القضاة المحليون يخشون إصدار أحكام ضدهم .

احتياطات البحرين إزاء الدواســـر :

زادت دوريات الحراسة البحرية أمام ساحل الدمام وجبيل مستعينة بسلاح البحرية البريطانية ، كما أنها منعت الدواسر في موسم غوص اللؤلؤ في بداية صيف **١٩٢٤** من محاولة استعمال مناطق مغاصات اللؤلؤ التي بدأت تستغلها القوارب البحرينية وذلك لمنع أي هجوم دوسري متوقع على تلك القوارب .

وبالرغم من تلك الإجراءات المشددة فقد حدث خلال شهر مارس **١٩٢٤** أن قام قارب يستخدمه بعض أفراد قبيلة الدواسر من الدمام ماراً عبر قرية الدرّاز في البحرين بمهاجمة بعض الصيادين من أهل البحرين وضربهم إلى درجة جعلت إصابة بعضهم خطيرة ، كما قامت حكومة البحرين بمنع قبيلة الدواسر من استخدام نبع خورفشت الذي تستغله سفن الغوص في التزود بالمياه العذبة خلال الموسم ، وهو من الينابيع التي تقع في قاع البحر ، وكان للدواسر في السابق الأولوية على غيرهم في استغلال هذا النبع(٣٢) .

أما بعد هجرتهم فقد حرم عليهم استعماله ، هو وغيره من الينابيع الأخرى الواقعة في الشمال أمام الدمام ، وقد اتخذت ضدهم إجراءات أخرى بقصد التضييق عليهم فلم يسمح لهم بالغوص إلّا في مغاصات محدودة وقليلة الجودة ، وقد تمت الإجراءات التنفيذية لهذا كله من قبل الحكومة التي استعانت بالبحرية البريطانية التي استعانت

---

٣١) من المقيم في أبو شهر الى وزارة المستعمرات رقم ١٤ / ١٦٣ مارس - س ١٩٢٤ .
٣٢) من المعتمد في البحرين الى المقيم في بوشهر ٨٨ / ث - ٣١ مارس ١٩٢٤ .

بدورها بمرشدين من أهل البحرين لتُميز السفن البحرينية عن سفن الدواسر ، وذلك بقصد منع هذه الأخيرة من استعمال نبع خورفشت ومغاصات اللؤلؤ البحرينية .

موقف الإنجليز من هجرة الدواسر :

على الرغم من أن الانجليز سعوا إلى تحذير الدواسر من مغبة تنفيذ وعيدهم والقيام بهجرتهم ، إلا أنه مما لاشك فيه أن هجرة الدواسر لاقت قبولاً ضمنياً من قبل سلطة الحماية البريطانية باعتبارها حركة انفصالية تتم في بلد صغير تحاول هي من طرفها الهيمنة على شئونه بشكل أو بآخر لهذا قام الانجليز بجهد ملحوظ لتكريس هذه الهجرة واستثمار نتائجها السلبية في البحرين ، وفي مواجهة ابن سعود مستفيدة من الخلل الذي أصاب التركيبة السكانية في البحرين لإضعاف سلطة الحاكم الشيخ حمد ومستفيدة أيضاً مما قد يسببه وجود قبيلة الدواسر في الدمام من إحراج ابن سعود ، أو مما يثيره وجودهم من مشاكل متوقعة ، لابد أن يستثمرها حاكم البحرين ، على الرغم من تخوف الانجليز من قيام ابن سعود بالتدخل في شئون البحرين .

لذا نجد أن الانجليز يحاولون قطع الكثير من الخيوط التي من الممكن أن تؤدي إلى أي تقارب بين الدواسر وحاكم البحرين الشيخ حمد، وتعميق هوة الخلاف بين الطرفين وقد ظهر ذلك جلياً من مجموعة الاقتراحات التي تم تنفيذها لفصل الدواسر عن البحرين من جهة ومحاولة الانجليز التأثير على ابن سعود لإبعادهم من الدمام إلى الجبيل من جهة أخرى . كما كان الانجليز يرون أن في إبعاد الدواسر عن البحرين إضعافاً للحركة الوطنية المناهضة لسياستهم ، وبهجرتهم يتم الاستغناء عنهم نهائياً ، وبخاصة إذا استجاب ابن سعود لطلبهم ـ الانجليز ـ وأسكن الدواسر في الجبيل بدلاً من الدمام ، وهذا بالتأكيد مما كان سيفت في عضد رجال الحركة الوطنية البحرينية ، إذ المعروف أن رجال الحركة البارزين هم من المواطنين السنة ، وفي مقدمتهم الشيخ عبد الوهاب الزياني ، الذي لم يخف المعتمد البريطاني تخوفه في حالة عودة الدواسر ، فقد ورد في خطاب المعتمد البريطاني إلى المقيم السياسي قوله (. . . . ومن شأن السماح بعودة الدواسر أن يلحق الضرر بسياسة الاصلاح وبتأمين نوع من الحكم أو النظام بالنسبة للشيعة وبخاصة بعد الانذارات الشديدة التي وجهها الدواسر لهم قبيل مغادرتهم البحرين ، ورغم بعض المكايد والدعاية التي قام بها نفر من أمثال عبد الوهاب الزياني ، فقد ادخلت تحسينات كثيرة إزاء مواقف السنّيين تجاه حكم الشيخ حمد ، كما أجريت

الإصلاحات في الإدارة ، بالاضافة الى فرض الاحترام لأوامر حكومة الشيخ حمد وتعليماتها بأسلوب لم يكن معهوداً طيلة فترة حكم الشيخ عيسى ، وأن عودة الدواسر ستقلب كافة الموازين ، وتجعل الأمور أسوأ مما كانت عليه في الماضي(٣٣)

ثم يعبر المعتمد البريطاني صراحة عن الرأي الرسمي لسلطة الحماية في شأن عودة الدواسر حين يقول : « إنني أتصور أنه لا توجد كارثة إن أمكن أن تصيب جزر البحرين أكثر من عودة قبيلة الدواسر إليها »(٣٤) .

وجدير بالذكر أن الانجليز لم ينسوا موقف الدواسر من مناصرة الحركة الوطنية البحرينية ورجالها ، فقد وقف الدواسر بكل ثقلهم في صف الوطنيين ، وما الغرامة المالية البالغة (١٥) ألف روبية التي فرضها الانجليز باسم حكومة البحرين على شيخ الدواسر والتي ذكرناها من قبل ما هي إلّا عقوبة لهذه القبيلة على ما قام به رجالها من مناصرة الحركة الوطنية ، وقد أشار المقيم السياسي في بوشهر في رسالته رقم ٥١٧ ـ س بتاريخ ٤ ديسمبر ١٩٢٦ ، إلى ذلك حين قال في الفقرة (١٢١) من رسالته :

« لدى البدء بعملية الاصلاح في البحرين عام ١٩٢٣ قامت هذه القبيلة بأعمال مزعجة » .

وغني عن الذكر أن الانجليز الذين يصفون عملية خلع الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بأنها عملية إصلاحية لا يتورعون عن تسمية الدواسر بالجناة كما ورد في المراسلة رقم ١٢١ / ١ / ١٥ بتاريخ ٢٤ من مايو ١٩٢٤ ، كما وصفوهم في المراسلة نفسها بأنهم يعارضون أية إصلاحات ـ (أي تدخل الانجليز في شئون البحرين) ـ و . . « أن البحرين قد تخلصت منهم وارتاحت » . على حد قول المراسلة المذكورة .

ولا ريب أن هذه المواقف وغيرها تشير إلى الموقف العدائي من جانب الانجليز نحو الدواسر وسعيهم إلى إبعاد هذه القبيلة عن البحرين ، ولقد سعى الانجليز إلى الانتقام من الدواسر في حالة تمكنهم من العودة .

---

٣٣) المرجع نفسه .

٣٤) المرجع نفسه ، وكذلك رسالة المقيم في بوشهر الى المعتمد في البحرين رقم ٢٣٥ ـ س المؤرخة في ١٠ ابريل ١٩٢٤ ـ التي يقول فيها : (ليس في نية حكومة صاحب الجلالة السماح للدواسر بالعودة في الوقت الحاضر مهما كانت الظروف) .

محاولة الدواسر العودة إلى البحرين

كانت أول بادرة تظهر من الدواسر للعودة إلى وطنهم تلك الاشارة التي أخبر بها الشيخ قاسم بن مهزع قاضي البحرين المعتمد البريطاني بأن الدواسر أرسلوا إليه يطلبون منه التوسط للمساعدة في أمر عودتهم إلى البحرين(٣٥)

فقد اكتشف الدواسر من خلال تجربتهم الخاصة بترك البحرين والعيش تحت سلطة ابن سعود ، انهم فقدوا أشياء كثيرة ، وامتيازات حيوية بالنسبة لهم فقد قلت مواردهم ، وتبددت ثروتهم ، وكان يضيع وضعهم المميز المرتبط بعملهم باستخراج اللؤلؤ وما دره عليهم ذلك من أموال .

وكانت حكومة البحرين قد أعلنت لهم أكثر من مرة ونشرت ذلك بين الناس بأنه في حال تركهم البحرين سيواجهون المشاكل التالية :

١ ـ سيكون الغواصون القاطنون في البحرين والعاملون سابقاً مع الدواسر في حل من رد الديون إليهم ، والسماح لهم بالتعاقد مع نواخذة جدد ، (ولقد نفذ هذا البند وأخذ هؤلاء الغواصون « البروه » (٣٦) ووجدوا لهم أعمالاً جديدة) .

٢ ـ ستصادر ممتلكاتهم في البحرين من قبل الحكومة البحرينية وتباع .

٣ ـ سوف يمنعون من الغوص في مغاصات البحرين ، ومن التزود بالمياه من نبع (خورفشت) .

وبالنسبة للبند الثالث شددت حكومة البحرين من رقابتها بمساعدة البحرية البريطانية خوفاً من اختلاط سفن الدواسر بالسفن البحرينية التي صار لها الحق في ارتياد مغاصاتهم الأولى في موسم الغوص وخوفاً من حدوث بعض الأعمال الاستفزازية نتيجة الاحتكاك والتنافس على الاستفادة من تلك المغاصات .

أما بالنسبة للبند الثاني، فقد اتخذت خطوات لبيع ممتلكات الدواسر في البدع، الا انها تأجلت بغية الاعداد للترتيبات اللازمة خوفاً من ردة الفعل المرتقبة منهم (أي من الدواسر كقيامهم بعملية غزو استنقاذاً لاملاكهم) ، وفي المقابل فإن المساعي التي بذلها الانجليز لحصول الغواصين الذين كانوا يطالبون الدواسر بالمال قد فشلت بسبب عدم

---

٣٥) من المعتمد في البحرين الى المقيم في بوشهر : رقم ٨٨ / ت ، ٣١ مارس ١٩٢٤ .

٣٦) الدين الذي على الغواص من قبل النواخذة ، تؤخذ به براءة أو صك ، وتحولت كلمة براءة إلى (بروة) .

إمكـان حمايتهم حين الاقـتراب من المناطق النجدية مما قد يتعرضون له ، بينما أبدى سلطان نجد (ابن سعود) شجبه لتبرير بيع ممتلكات الدواسر المصادرة بالجملة في البدع بالبحرين .

ونتيجة للأسباب التي سبق ذكرها ، وللأوضاع التي نشأت من استمرار إقامة الدواسر في الدمام وجد هؤلاء أن عليهم مواجهة نتائج مكلفة قد يطول أمدها فيما لو استمروا في إقامتهم خارج البحرين ، خاصة أن الانجليز أخذوا يمارسون ضغطاً ملحوظاً على شيخ البحرين لتصفية ممتلكاتهم ، وقد بيع بعضها بالفعل ، كبعض الدور في المنامة ، كما جرى تأجير عدد لا بأس به من أملاكهم في البدع . بينما واجهوا إجراءات صارمة حدّت من انتفاعهم في مواسم الغوص .

ولا يستبعـد أن تكون بعض الاتصالات قد جرت سراً بين شيوخ الدواسر وشيخ البحرين حمد بن عيسى آل خليفة ، وأن الشيخ حمد بدأ يكتشف نوايا الانجليز من جراء محاولاتهم المـركـزة لتكـريس هجـرة الدواسر وإبعادهـم عن الدمام والتشدّد في تطبيق العقوبات التي سبق وأنذروا بها ، في الوقت الذي شعر فيه الشيخ بفداحة ابتعادهم عن البحرين ، وأهمية وجودهم في بلاده ، سياسياً واقتصادياً .

كما أنه لا يستبعد أن يكون ابن سعود قد باشر وساطة غير معلنة بين الشيخ حمد والـدواسر ، إلا أن أول بادرة معلنـة ظهـرت للتصالح والعودة كانت في سبتمبر عام ١٩٢٦ ، حين قام وفدمن شيوخ الدواسر بزيارة البحرين ، منتهزين فرصة تواجد المقيم السياسي، في بوشهر بالبحرين، فقابلوه ، وكان الوفد يتألف من ثلاثة من شيوخهم هم الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم والشيخ عيسى بن سعد وهذان من شيوخهم المسنين ، وكان الثالث من الشباب وهو الشيخ أحمد بن عبد الله وهو ابن زعيم سابق للدواسر هو (عبد الله بن حسن) .

قام هذا الـوفـد أولاً بمقـابلة حاكم البحرين الشيخ حمد بن عيسى وشرح شيوخ الدواسر أوضاعهم الجديدة في الدمام للشيخ والتي كان منها قيام أمير القطيف بفرض ضرائب على الدواسر ، مع أن ابن سعود سلطان نجد كان قد أمر باعفائهم من هذه الضرائب من قبل انضمام عدد من رجالهم للخدمة في جيشه ، مما يعكس تحول رغبة ابن سعود في استبقاء الدواسر أو ابقائهم ، وميله إلى إقناع شيخ البحرين بتسهيل عودتهم ، وتحاشيه التعرض لضغوط الانجليز الذين ربما ألحوا عليه في استبعادهم عن الدمام إلى مكان أبعد عن جزر البحرين (إلى الجبيل) .

ومهما كانت الأسباب ، فقد أبدى شيخ البحرين تعاطفاً ملحوظاً مع وفد الدواسر ، وكشفت التقارير فيما بعد أنه أجرى مع أعضاء الوفد ترتيباً لم يجر الافصاح عنه ويقضي بأن يحمل شيوخ الدواسر توصية من شيخ البحرين إلى ابن سعود كي يتوسط الأخير لديه (أي لدى شيخ البحرين) باعادة الدواسر ليكون ذلك بمثابة مساندة له في مواجهة الانجليز ، ومبرراً لتسهيل عودتهم(٣٧) .

الوفد يقابل المعتمد البريطاني

قابل وفد قبيلة الدواسر المقيم السياسي بالبحرين ، لكنه أفهمهم أن حياتهم في البحرين لن تعود كما كانت من قبل ، فالامتيازات السابقة التي كانت ممنوحة لهم كالاعفاء من الضرائب والحرية التي كانوا يتمتعون بها في مناطقهم ، كل ذلك سيلغى وسيعودون كغيرهم من المواطنين ، يدفعون الضرائب حالهم حال غيرهم من المزارعين والتجار ، ويمثلون أمام محاكم شيخ البحرين ، بل عليهم أيضاً القبول بما استجد بعد هجرتهم ولم يكن على عهدهم من قبل كوجود مراكز الشرطة التي أقيمت في بلدتهم ، وربط تعيين شيخ قبيلتهم بحاكم البحرين ، يرشح من يراه مناسباً أو يستبدله بمن يشاء عند اللزوم ، كما صار عليهم القبول بما سيتخذ من إجراءات لحماية المستأجرين البحارنة الشيعة والغواصين الملونين والقبول بمساواتهم في ظل المواطنة مع سواهم ومع أنفسهم(٣٨) .

وواضح من هذه المطالب والشروط أن لسلطة الحماية اليد الطولى في وضعها وهي تنسجم مع ما ذهبنا إليه من أن هذه السلطة وجدت في تكريس هجرةالدواسر توافقاً مع مصالحها في البحرين والمنطقة ، إذ كان يهمها في حال عودتهم على الأقل أن تبقى شرعية حكم الشيخ حمد بن عيسى مصانة وأن لا يكون في وجود الدواسر في بلدتهم داخل البحرين ما يهدد بقيام حركات مماثلة كالتمرد والتحدي والمغالاة واقلاق الأمن العام .

بعد أن عرض المقيم السياسي البريطاني شروطه على وفد الدواسر ، بدا له أن الشيخين المسنّين عبد اللطيف بن ابراهيم وعيسى بن سعيد يميلان للموافقة والاذعان ، بينما رفض الشيخ الشاب أحمد بن عبد الله تلك الشروط وأخبر المقيم

---

٣٧) من المعتمد البريطاني في البحرين الى المقيم السياسي في بوشهر رقم ٥٣ / ت ، ٢٤ ابريل ١٩٢٧ .

٣٨) رسالة من المقيم السياسي في بوشهر الى حكومة الهند رقم ٥١٧ / س ، في ٤ ديسمبر ١٩٢٦ .

السياسي أن بني قومه يفضلون البقاء في الدمام على الاذعان لتلك الشروط ، وإزاء اصرار هذا الشيخ الشاب أذعن الشيخان الآخران ، ولم تسفر هذه المقابلة عن أي تقدم ، سوى ما كان من كسب عطف حاكم البحرين الشيخ حمد بن عيسى ورغبته في مساعدتهم . وقد عبّر عن تعاطفه مع شيوخ الدواسر حين حرص على إبقاء أخ الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم الدوسري في حاشيته الخاصة .

لكن هذا التعاطف من قبل شيخ البحرين ، المقرون بالترتيب الذي اتفق عليه مع شيوخ الدواسر والذي انطوى - سراً - على حمل الوفد رسالة إلى ابن سعود ليقوم بالوساطة المعلنة ، هذا التعاطف قوبل من جانب الانجليز بالتشدد ، ومحاولة الضغط على الشيخ حمد لقبول النصيحة البريطانية الخاصة بالتمسك بالشروط التي أملاها المقيم السياسي على الدواسر ، معتبرين أن ذلك في مصلحة الشيخ الحاكم ، الذي ينبغي عليه الإمساك بقوة بزمام الأمور (حين يعمل بتلك النصيحة) وأنه حين يفعل ذلك فإنما يحافظ على « شرعية مركزه » كحاكم [٣٩] .

الوساطة السعودية

نجحت الخطة التي رتبها الشيخ حمد مع شيوخ الدواسر ، وحين جاءت وساطة ابن سعود سلطان نجد ، كان يسود اعتقاد بأن الشيخ حمد لا مانع لديه من عودة الدواسر ، بل إنه يرغب في عودتهم ، لكن الحكومة البريطانية هي التي تعارض ، وحين فطن الانجليز إلى هذا ، أحسوا بالحرج وأخذوا يفكرون في الخروج من هذا المأزق الذي وضعهم فيه الثالوث : ابن سعود وشيخ البحرين وشيوخ الدواسر .

الانجليز يغيرون موقفهم

كانت حجة الانجليز في الضغط على الشيخ حمد[٤٠] لعدم الاستجابة لدواعي عودة الدواسر ورد ممتلكاتهم انهم سيجلبون المتاعب للشيخ ، وأن أمر اعادتهم لا يعدو أن

---

٣٩) أ - رسالة حكومة الهند الى المقيم البريطاني في بوشهر رقم ٥١٣ - ن تاريخ ٢٦ / ١ / ١٩٢٧ .
ب - ورسالة المقيم الى المعتمد رقم ٢٤ - س في ٣ / ٢ / ١٩٢٧ .

٤٠) بلغ هذا الضغط حد التهديد غير المباشر بالاطاحة به .

يكون إذعاناً من الشيخ لتمرد قد يتكرر في المستقبل . ولم يتورع الانجليز عن وصف الدواسر بأنهم « من الرعايا المشاغبين » واتهامهم بأنهم تصرفوا « بوقاحة»[٤١] .

ولكن الشيخ حمد الذي ظل فترة من الزمن مدارياً ومحاولاً الموازنة بين « النصيحة البريطانية » غير المخلصة ، وبين رغبته الوطنية المخلصة في رأب الصدع ووصل ما انقطع بينه وبين قبيلة من رعاياه كان لهم سابق فضل على البلاد ، تمكن بعد الوساطة السعودية من أن يعلن رأيه حتى أمام الانجليز ، واستطاع أن يعلن أيضاً أنه يعتبر قضية الدواسر قضية عربية ، بدليل قوله إلى المقيم السياسي البريطاني : « بأنه شعر بالخزي أمام القبائل العربية من جراء مصادرة أملاك الدواسر وقراهم »[٤٢]

وفي ذلك اللقاء أفصح الشيخ حمد بن عيسى للمقيم السياسي عن رغبته في إعادة الدواسر مبيناً الدواعي الوطنية كذلك فضلاً عن الدواعي القومية ، واستطاع الشيخ اقناع المقيم السياسي بأن آل خليفة من السنة ويحكمون سكاناً من الشيعة ، ومن المصلحة الوطنية أ لا يضعفوا أنفسهم بفقدانهم لدعم « سنّي » قوي ، يتمثل في وجود قبيلة الدواسر .

إزاء هذه الدواعي كلها وجد الانجليز أنفسهم في موقف يزيد من حرجهم إذ اصبحوا في نظر العرب سلطة أجنبية تتدخل في الشؤون الداخلية للبحرين ، وتمنع حاكم البلاد من الترحيب بقبيلة عربية يرغب هو في الصفح عنها ، وأنهم أي الانجليز تسببوا في تحويل بلدة عامرة بما حولها من قرى ومزارع وشواطىء إلى أطلال وخرائب البدع .

لهذا كله ، سارع الانجليز إلى اعلان عدم معارضتهم لقرار الحاكم الخاص بإعادة الدواسر ، لكنهم لم ينسوا أن يضربوا على ذلك الوتر الذي فقد رنينه وهيبته في سمع الحاكم ، وهو مسألة العودة المشروطة[٤٣] .

الدواسر يعودون بلا شروط

قام المقيم البريطاني بابلاغ حاكم البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ، بعدم معارضة بلاده لعودة الدواسر ، ولكنه تساءل : كيف يستطيع الشيخ السماح بعودة قبيلة

---

٤١) المصدر السابق (أ) فقرة ـ ٢ (المصدرين السابقين) .

٤٢) رسالة من المقيم السياسي في بوشهر الى حكومة الهند رقم ٨٧ ـ تاريخ ٢٧ / ٣ / ١٩٢٧ .

٤٣) رسالة من المقيم السياسي في بوشهر الى حكومة الهند (الفقرة ١١) رقم ٨٧ / س في ٢٧ مارس ١٩٢٧ .

أصرت على نيل امتيازات خاصة مما تسبب باضطرابات لا يستهان بها إلا إذا أيقن أفراد القبيلة أنهم لم يعودوا قادرين على الاحتفاظ بتلك الامتيازات واتباع أساليبهم السابقة ؟ .

أجاب الشيخ حمد بأنه أبلغ الدواسر بضرورة القبول بوجود نقطة للشرطة في بلدتهم ، وهو الأمر الذي رفضوه أولاً ثم قبلوا به .

ولم يقتنع المقيم السياسي ، وعاد يردد الذريعة البريطانية التي تضمنتها النصيحة الخاصة بأن على الدواسر أن يعودوا كأفراد عاديين دونما أية صلاحيات أو سلطات موروثة ، ووعده الشيخ بـ « ايضاح » هذا الأمر لهم .

كل هذا كان يجري في الوقت الذي أقام فيه وفد من رؤساء الدواسر وشيوخهم ضيوفاً على الشيخ حمد ، ينزلون على الرحب والسعة في « بيت الصيد » حيث كان يقيم آنئذ ، ويبدو أن الشيخ نصح أعضاء الوفد بالقيام بزيارة مجاملة للمقيم السياسي البريطاني لتقديم الشكر على اعادة ممتلكاتهم إليهم . ولم ينس المقيم أن يكرر على أسماعهم ، « إن الأمر برمته متوقف على قبولهم قوانين البلاد وما داموا خاضعين لهذه القوانين كغيرهم من رعايا البحرين وبلا امتيازات فإن الشيخ حمد سيكون مسروراً لرؤيتهم ثانية في البلاد .

هذا وذكر المقيم السياسي البريطاني في أحد تقاريره أن رؤساء الدواسر « قبلوا بالشروط دونما أي تحفظ » وانتهت المقابلة عند هذا الحد(٤٤)

بعد هذه المقابلة عاد الوفد الى مكان إقامتهم مع الشيخ حمد ، وجرى آخر مشهد من المصالحة وكان على الطريقة العربية ، فقبلوا الشيخ وقبلهم وأظهر الدواسر آيات الفرح والبهجة ، وانطلقت الزوارق البخارية إلى المحرق لتعلن النبأ السار . .

البدع في سنوات الهجرة

هجرت الدواسر بلدتهم (البدع) عام **١٩٢٣** ، وعادوا إليها عام **١٩٢٨** ، وفي خلال تلك الفترة ظلت مهجورة لم يسكنها أحد سوى حفنة قليلة من الأشخاص .

وقد حاول الانجليز إقناع شيخ البحرين بإسكان البحارنة فيها وبيعهم بيوتهم وممتلكات الدواسر من الأراضي والمزارع فيها بأثمان رمزية ، بغية تكريس هجرتهم وقطع

---

٤٤) المرجع السابق ـ فقرة (١٥١) .

خط الـرجعـة عليهم كي لا يفكـروا أو يتمكنوا من العودة نهائياً ، وتصبح مواطنتهم البحـرينية في خبر كان ، لما في ذلـك من خدمة لمصالح الانجليز وتحقيق لأغراضهم وأطماعهم في البحرين وسائر المنطقة .

لكن هذا الأمر لم يتحقق للأسباب التي سبق أن ذكرناها والتي من أهمها حرص القيادة البحـرينية الـوطنية على عدم التفريط بجزء من سكان البلاد وشعبها باعتبارهم عرباً وسنّـة ، ولسابق فضلهم في فتح البلاد ونشاطهم الاقتصادي من زراعة وتجارة وأعمال غوص ، واستجابة للدواعي القومية وانسجاماً مع الخلق العربي .

وبسبب هجرة الدواسر من البدع ، تعطلت حقولها فلم تعد صالحة للزراعة إلا بعد استصلاح ، كما أن آبارها غيضت ، ومبانيها آلت للخراب .

الوضع بعد العودة

نشأت بعد عودة الدواسر أوضاع جديدة يمكن حصرها فيما يلي :

١ ـ المسألة الشكلية الناجمة عن مصادرة ممتلكات قبيلة الدواسر في « البدع » وبعض العقارات في « المنامة » ، ثم قضية إعادتها لهم بعد عودتهم وتمام المصالحة معهم .

٢ ـ مسألة ما عرف بـ « بدل الايجارات » وحق الدولة من عدمه فيها . وهذه الايجارات عبارة عن أموال تقاضتها الدولة (شيخ البحرين) من جراء تأجير بعض ممتلكات الدواسر في أثناء هجرتهم ، كالبيوت ومزارع النخيل ، وطالب الدواسر بها .

٣ ـ مسـألـة ديون الغـواصين ، فقد سبق لنواخذة الدواسر قبل هجرتهم أن أقرضوا الغواصين البحارنة الذين كانوا يعملون عندهـم في الغوص ما كان يعرف بالسلفة كما هي المادة(٤٥) ، فلما هاجروا من البدع إلى الدمام تركوا عند الغواصين تلك السلف أو الديون .

وكـما دأب الانجليز على التـدخـل في الشئون الداخلية للبلاد . فقد أدلى المعتمد الـبريطاني في البحرين دلوه في هذه المسائل الثلاث ، محاولاً علاجها بالروح السابقة

---

٤٥) يعطي النوخذة الغواص سلفة ليجهز نفسه للدخول في الغوص وليترك بعض المال عند أهله لينفقوا منه في أثناء غيابه برحلة الغوص التي تستمر أربعة شهور ، ثم تخصم قيمة السلفة بعد انتهاء الغوص وحين محاسبة الغواصين من مستحقاتهم .

نفسها التي عالج بها هجرة الدواسر ومسألة عودتهم وأخيراً تصفية المشاكل الناتجة عن تلك العودة التي تمت رغمًا عنهم .

ورأى الانجليز بالنسبة للمسألة الأولى وهي الأمور الشكلية الناتجة عن مصادرة ممتلكات الدواسر ثم إعادتها لهم .

إن شيخ البحرين حين أعاد لهم تلك الممتلكات قد ناقض نفسه فقد سبق له وأقر مصادرة الممتلكات ـ وإن لم يتم التنفيذ ـ إلا أنها خضعت عرفاً لملكية الحكومة . وكانت سلطة الحماية من قبل قد حثت على بيعها البحارنة بأسعار رمزية كما سبق وهو ما سبقت الاشارة اليه في معرض ما بذله الانجليز من جهود لاستثمار الخلاف مع الدواسر وهجرتهم لخدمة مصالحهم في البحرين باعتبارهم سلطة حماية وتحقيقاً لأهداف بعيدة لا تخفى على العارفين بالسياسات الاستعمارية .

أما الرد البحريني الوطني فقد جاء على لسان الشيخ حمد بن عيسى حين قال : « إنه مما يتنافى مع شيم العرب أن يصادر الحاكم جميع ممتلكات قبيلة غادرت أراضيه »[٤٦] . وحين جاد له المعتمد البريطاني في قبوله السابق لمبدأ المصادرة واصداره أمراً بذلك ، رد بأنه قبوله آنذاك اعتبر تسليمًا بأمر صادر عن الحكومة ولا مناص من قبوله . مشيراً بذلك إلى ما وجه من إنذارات للدواسر قبل هجرتهم مفادها أن ممتلكاتهم ستصادرها الحكومة .

وعلى ذلك أعيدت ممتلكات الدواسر اليهم وتم استعادة البيوت التي كانت الدولة قد باعتها ، وتم تعويض مشتريها بالنسبة للاصلاحات التي قاموا بها في أثناء سكناهم لها ، كما تم تحويل عقود ايجار المزارع التي أجّرتها الدولة خلال السنوات الثلاث من غياب الدواسر عن البحرين إلى أصحابها الأصليين . وقد كلف ذلك الدولة مبلغ (أربعين ألف روبية) . كذلك عارض الانجليز في مسألة إعادة بدل الايجارات التي تقاضتها الدولة عن تأجير بعض ممتلكات الدواسر من بيوت في المنامة ومزارع نخيل في البدع الى أصحابها الدواسر .

فقد تضمنت وساطة ابن سعود لدى شيخ البحرين إعادة ممتلكات الدواسر بما فيها بدل الايجارات وقد أبدى الشيخ حمد بن عيسى قبولاً بذلك ، إلا أن المعتمد السياسي

٤٦) رسالة من المعتمد البريطاني في البحرين الى المقيم السياسي في بوشهر رقم ٥٣ / ت ـ ٢٤ / ابريل ١٩٢٧ .

البريطاني (من ورائه سلطة الحماية المتمثلة في المقيم السياسي البريطاني في بوشهر والمستشار جيمس بليجريف المسؤول المالي) اعترض على إعادة بدل الايجارات وقد بنيت اعتراضات سلطة الحماية على النقط التالية :

١ - وجهت للدواسر قبل مغادرتهم البحرين إنذارات عدة تفيد صراحة بأن تركهم البحرين سينجم عنه مصادرة ممتلكاتهم ، بمعنى أن ملكيتها ستؤول للدولة ، ومن باب أولى أن تدخل بدلات الايجار لهذه الممتلكات الى خزينتها ، أي خزينة الدولة .

٢ - يرى جيمس بليجريف بأن الرضوخ لجميع مطالب الدواسر ، يعني التسليم لهم ولنفوذ ابن سعود وتوصياته في البلاد ، ويرى الانجليز عموماً « أن رغبات ابن سعود ليست لها علاقة بالقضية » ، بمعنى أن الانجليز لا يرتاحون الى احترام شيخ البحرين لرغبة ابن سعود أو وساطته أو إلى اعتبارات المودة بين العاهلين العربيين فهم الذين طالما ناهضوا مثل هذا التقارب بين مشيخات المنطقة وإماراتها ، بل كثيراً ما سعوا إلى توسيع شقة الخلاف بين الكيانات العربية والقبائل انسجاماً مع سياسة « فرّق تسد » . وفي رسالة المعتمد البريطاني في البحرين الى المقيم السياسي في بوشهر المؤرخة في ٢٤ ابريل عام ١٩٢٧[٤٧] نجد مصداقاً لذلك إذ ورد قول المعتمد :

« أظهرت رحلتي الأخيرة إلى شاطىء الامارات المتصالحة مدى نفوذ الوهابيين هناك وإن تنفيذ طلبات ابن سعود بالنسبة للدواسر ستزيد من هيبته ونفوذه في هذه الجزر إلى حدّ بعيد » .

٣ - بلغت قيمة بدل الايجارات خلال ثلاث السنوات التي قضاها الدواسر خارج البحرين / ٦٤ ألف روبية / وهي عن تأجير مزارع نخيلهم وحيث أن هذا المبلغ قد دخل خزينة الدولة من سابق ، فإن خروجه منها إلى الدواسر سيرهق عائدات الدولة .

٤ - إن دفع بدل الايجارات الى الدواسر يعني بالضرورة إلغاء إجراء المصادرة الذي تم بالنسبة إلى ممتلكاتهم والذي أعلن بقرار يحمل اسم الشيخ ، وهذا الالغاء أمر يوحي بالانطباع بأن تلك الإجراءات كانت خاطئة .

---

٤٧) المصدر السابق .

٥ ـ ان شراء رضى الدواسر بهذا المبلغ الكبير الذي يتضمنه بدل الايجارات أمر لا مبرر له .

٦ ـ ترى سلطة الحماية وجوب إنزال عقاب ما بالدواسر بسبب قضايا ارتكبوها . وأن نزوحهم لمدة ثلاث سنوات هو العقاب الذي نالوه ، لذا فان في دفع بدل الايجارات لهم تناقضاً : إذ كيف يعاقبون ويؤجرون على هذا العقاب ؟

أما وجهة النظر الوطنية في مسألة إعادة بدل الايجارات والتي يمثلها حاكم البلاد الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ، فقد بنيت على ما يلي :

١ ـ الاستجابة للوساطة السعودية . فقد أبلغ الشيخ حمد حاكم البحرين المعتمد البريطاني(٤٨) بأن ابن سعود هو الحاكم العربي الأكبر الوحيد، وأنه من الطبيعي على الشيوخ الأصغر من أمثاله (أي أمثال الشيخ حمد) أن يكنوا له الاحترام ويحاولوا إرضاءه » .

هذه الاعتبارات الأخوية بين الحاكمين العربيين المسلمين كانت لا تلقى تأييداً من قبل الانجليز ، بل إنها في كثير من الأحيان كانت تثير حفيظتهم .

٢ ـ يجد شيخ البحرين للدواسر العذر والمبرر ليس لمطالبتهم باستعادة أملاكهم واسترداد البدل المالي لما تأجر منها في خلال فترة هجرتهم وحسب ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيقرر أمام المعتمد البريطاني ملمحاً إلى أحقية هؤلاء القوم فيما يطالبون به ، مشيراً إلى أن تبعات هجرتهم ينبغي أن تتحملها الدولة، لا الدواسر الذين لم يغادروا البحرين طوعاً بل خوفاً من الحكومة .

٣ ـ يرى شيخ البحرين أن إعادة بدل الايجارات إلى الدواسر نوع من الحض على عودتهم ، وهذا بحد ذاته إشارة قوية أخرى إلى حرص القيادة الوطنية على هذه العودة والرغبة في إنصاف هذا القطاع المهم من مواطني الامارة .

٤ ـ يرى الشيخ حمد أن في الامتناع عن دفع بدل الايجارات للدواسر نوعاً من العقاب لهم يستحقونه على مسلكهم السابق حين هاجروا . لذا فان وجوب الدفع يرفع هذه الفكرة ويزيلها من الأذهان ، وذلك تأكيداً لصفاء ولائهم وخلوه من أية شائبة .

---

٤٨) المصدر السابق ـ فقرة (٥١) .

ويدعي الانكليز أن هذا الرأي الذي تبناه شيخ البحرين إنما أوحى له به شيوخ الدواسر حين طالبوا بكامل حقوقهم .

٥ ـ يعتقد الشيخ حمد بأنه إن لم يدفع بدل الايجارات للدواسر فإنهم سيظلون دائماً يشعرون بالغبن والأسى ، وهذا الشعور ربما يؤثر على صفاء ولائهم له ، وعلى سلوكهم في المستقبل .

٦ ـ يشعر الشيخ حمد بأنه مادامت عملية المصادرة قد تمت باسمه (الأمر الذي حدث بعد عملية اقتناع نتيجة لضغط الانكليز) ـ فانه يتحتم عليه إعادة الأموال لأنه هو المسئول عن ذلك .

٧ ـ يحتج الشيخ حمد بأنه مادام دفع بدل الايجارات من عدمه لم يرد صراحة في الشروط التي تمت بموجبها عودة الدواسر ، فإنه يفترض أن إعادة بدل الايجارات أمر مفروغ منه .

وجهة نظر الدواسر

ورأى الدواسر في مطالبتهم بالحصول على بدل الايجارات تعبيراً عن وجهة نظرهم التي تتلخص في أنهم خرجوا في هجرتهم بدافع الخوف ، وأن الدولة لم تستطيع أن تحقق لهم مظلة أمنية تهدىء خواطرهم الثائرة ، وهم ينطلقون من هذه القاعدة ليرفعوا قرار المصادرة الذي صدر على ممتلكاتهم بعد هجرتهم ، وأن بدل الايجارات سينفق في إصلاح الممتلكات التي أصابها التلف والضرر في أثناء غيابهم فقد ظلت تلك الممتلكات مهملة طيلة ثلاث سنوات ، حتى ما أجّر منها لم تمتد إليه يد بأي إصلاح .

قضية الغواصين

ذكرنا عند تعريف قضية الغواصين التي نجمت عن هجرة الدواسر أنها تتلخص في مطالبة نواخذة الدواسر لمجموعة من الغاصة البحارنة الذين أخذوا سلفاً نقدية استعداداً لموسم الغوص الذي لم يتم بسبب الهجرة والنزوح .

وحين عاد الدواسر ، طلبوا من الغاصة البحارنة إما رد السلف أو المبادرة الى العمل معهم بما أخذوا من سلف وإجبار من يرفض منهم على ذلك .

ومما لا شك فيه أن موقف شيخ البحرين كان مؤيداً للدواسر انسجاماً مع موقفه العام منهم وبخاصة موقفه من قضية الممتلكات والايجارات ، لكن المشكلة أن سلطة الحماية

البريطانية اعترضت على طلب الدواسر ، وطالبت الشيخ برفض إجبار الغواصين البحارنة على العمل بسلفهم مع نواخذة الدواسر ، وهذا الرفض كان يعني بالضرورة أن يتحمل الدواسر ديونهم السابقة التي كانت على الغواصين ، وبرر الانجليز رفضهم استعادة ديون الغواصين بما سبق من تحذير الدواسر أنفسهم قبل هجرتهم من أنهم إذا ما أصروا على ترك البحرين فإن ديونهم التي على الغواصين البحارنة ستلغى ويعفى منها هؤلاء الغواصين . ومع أن الدواسر تفهموا أبعاد ذلك التحذير إلا أنهم أصروا على الرحيل .

والجدير بالذكر أن دولة البحرين ـ بتوجيه من الانجليز ـ أعفت الغواصين من الالتزام برد السلف للدواسر وأعطت كل واحد منهم شهادة (بروة) « أي براءة » موقعة من الشيخ ومن المعتمد السياسي تقضي بإعفاء حاملها من ديونه والسماح له بالغوص مع من يشاء .

هذا وقد قدرت دوائر الانجليز أن مقدار السلف والديون التي كانت للدواسر على الغواصين تتراوح ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ ألف روبية . ورأى الانجليز أن لا يجبر أي غواص على العودة إلى العمل مع الدواسر بما يحمله من ديون سابقة عليه ، وقد أكد المقيم السياسي للمعتمد في البحرين في رسالة بعثها له من بوشهر في ١ مايو ١٩٢٧ ، هذا الأمر ونوّه بما كان يلقاه الغواصون من (عبودية) على حد زعمه تتمثل في ما يكون على الغواص من ديون .

وجهة النظر البريطانية في معالجة قضيتي الايجارات والغواصين

أولا : بدل الايجارات

رأينا فيما سبق كيف حاول الانجليز استثمار قضية بدل الايجار التي آلت لخزينة الدولة ، التي طالبت بها الدواسر في محاولة الضغط على شيخ البحرين ، مكرسين بذلك سياستهم الخاصة التدخل بالشؤون الداخلية ، للبحرين ، ساعين إلى تأكيد الفرقة بين أبناء المجتمع البحريني وتعميقها بوساطة فرض منع البدل عن الدواسر كعقاب لهم ، وتوسيع موضوع الخلاف وعدم اتمام الوفاق بما يرضي هذه الفئة من الشعب ورأينا كيف سعى الانجليز إلى انتقاد موقف الدواسر منذ هجرتهم وإظهارهم بمظهر المنشقين

المعارضين ، وهم الذين سبق لهم أن وصفوهم على لسان المقيم السياسي بأنهم « رعايا مشاغبون » و « جناة » . . . الخ .

وعلى رغم كل ما بذله الانجليز من جهود لاستثمار قضية هجرة الدواسر وما نتج عنها لخدمة أغراضهم ، فقد ظل موقف شيخ البحرين ثابتاً تقريباً في جانب الدواسر باعتبارهم من مواطنيه العرب السنة ، ولما لهم من سابق جهاد مع أجداده ولنشاطهم الاقتصادي في البلاد ولمنزلتهم بين القبائل العربية ، ثم لوساطة ابن ـ لصالحهم .

وأمام هذه الصلابة في موقف الشيخ حمد بن عيسى والدواسر على السواء وجد الانجليز أن عليهم تعديل موقفهم والتنازل عن بعض تشددهم كي لا يظهروا وكأنهم أعداء حقيقيون للوئام وأنهم حجر عثرة في طريق حل هذه المشكلة . وكانت الحلول التي طرحوها للمشكلات كالتالي :

١ ـ بالنسبة لبدل الايجارات اقترح المعتمد السياسي اعادة ثلث مبلغ بدل (الايجارات) ليقوم الدواسر بالاصلاحات اللازمة « نظراً لفقر القبيلة » على حد تعبيره . واشترط لصرف هذا المبلغ أن لا يأتي من بند الايجارات وكذلك أن تؤكد الدولة مبدأ العقاب بحقهم وأن تبذل مساع للعفو عنهم شريطة أخذ وعد منهم بحسن السلوك مستقبلاً(٤٩) .

وأشار المعتمد في رسالته المؤرخة ٨ مايو ١٩٢٧ الى المقيم السياسي في بوشهر إلى أن « ثراء الدواسر قد تأثر كثيراً خلال غيابهم في الأراضي النجدية حيث يفترض أنهم قاموا ببناء أو شراء بيوت لهم بالاضافة إلى الضرائب الباهظة التي دفعوها لابن سعود والنفقات التي تكبدوها من جراء تنقلهم في الداخل من مكان إلى مكان وهم يحملون بضائعهم وأثاثهم » .

وفضلاً عن ذلك فقد وضع المعتمد في حسابه ما فقده الدواسر من دخول ممتلكاتهم في البحرين ، وكذلك ما سيتكبدونه لدى عودتهم إلى البحرين من إصلاح بيوتهم في البدع . واقترح المعتمد البريطاني بناء على ما تقدم أن تبدأ الحكومة مع الدواسر بما أسماه (رأسمال قليل) ويعني به مبلغاً يقدم إليهم كمساعدة مقداره ثلث دخل أملاكهم (أي ثلث بدل الايجارات) عن السنوات التي قضوها في الدمام والتي تبلغ بمجملها

---

٤٩) المصدر السابق فقرة (١٢) .

(٦٤,٠٠٠) روبية وهذا يعني أن المبلغ المقترح أعطاءه للدواسر هو (٢١,٠٠٠) روبية .

والملفت للنظر أن المعتمد البريطاني قد أصر على تسمية هذا المبلغ المقترح دفعه للدواسر على أنه (تبرع سخي)[٥٠] لهم على حدة تعبيره ، واعتبر أن هذا (التبرع) ثمناً لكفهم (عن مضايقة الشيخ حمد مستقبلاً) أيضاً على حد تعبيره .

ثم عقب المقيم السياسي في بوشهر على هذا الاجراء المقترح وهو تقديم ثلث بدل الايجارات كمنحة أو تبرع سخي كما وصفوه ، بقوله : ان تقديم هذا المبلغ (يجب أن لا تكون له علاقة ببدلات الايجارات المحصلة ، إذ يجب أن يتخذ تخصيص مثل هذا المبلغ طابع تشريع من حكومة البحرين[٥١] . والمقيم السياسي يرى أن دفع هذا المبلغ يتم بعد أن يتحقق أمران :

الاول : هو تأكيد وقوع العقاب على قبيلة الدواسر وأنها بهذا العقاب قد (لاقت جزاءها العادل) .

الثاني : صدور العفو من الحكومة البحرينية عنهم على شرط أن يعدوا بحسن السلوك في المستقبل . وبذلك يستحقون أن ينالوا ثلث بدل الايجارات باعتباره منحة أو تبرع وهو ما سبقت الإشارة إليه .

ثانياً : قضية الغواصين

وافق المقيم السياسي البريطاني في بوشهر على توصية معتمده في البحرين بعدم اجبار أي غواص على العودة إلى العمل مع النواخذة الدواسر « مثقلاً بديونه السابقة » على حد تعبيره[٥٢] .

وبنى المقيم السياسي موافقته واعتماده لهذا القرار على أنه (مادامت هذه الديون قد ألغيت فلا يجوز تحميلها عليهم مرة أخرى) أي على الغواصين ـ وهذا يعني أن السلف التي سبق للنواخذة الدواسر أن أعطوها للغواصين لن تسترد منهم . ومن المعلوم أن

---

٥٠) رسالة من المعتمد البريطاني في البحرين الى المقيم السياسي في بوشهر ، رقم ٦٢ / ث ، ٨ مايو ١٩٢٧ .

٥١) المصدر السابق

٥٢) من المقيم السياسي في بوشهر الى المعتمد في البحرين ، رقم ١٥٤ / س ، ٩ مايو ١٩٢٧ .

الغواص لا يعيد السلفة نقداً ولكن يعمل بها ويتقاضى باقي حقه عند انتهاء الغوص كما هو معلوم(٥٣) .

وأقر المقيم السياسي كذلك تبر ير معتمده القائل بأنه مادامت هذه الديون (السلف) قد ألغيت فلا يجوز تحميلها عليهم مرة أخرى وبخاصة أنهم لابد أن يكونوا قد وجدوا عملاً آخر .

وكان ختام المعالجة الاجرائية لقضيتي بدل الايجارات وسلف الغواصين التي تبنتها سلطة الحماية إقرار دفع مبلغ (٢٥,٠٠٠) روبية الى الدواسر وبمحاولة أخذ موافقة من الشيخ حمد (كبادرة من حكومة البحرين لمساعدتهم في استصلاح بيوتهم وتمويل موسم الغوص) .

نتائج هجرة الدواسر وعودتهم

لم يتفهم الانجليز جوهر الموقف الذي جرى بين طرفين عربيين تجمعهما فضلاً عن أواصر القربى رابطة الولاء الوطني والرابطة الدينية ولم يدركوا كنه الاباء العربي وروح المرؤة والمودة التي كثيراً ما تحل محل الضبط القانوني والالتزام الحقوقي .

لقد خرج الدواسر من ديارهم ووطنهم مغضبين ، وهو تعبير عروبي يفرضه الاباء حين لا يتمكن العربي من دفع ما يلحقه من حيف أو ظلم أو غبن ، وفي التاريخ العربي قديمه وحديثه مواقف تشبه موقف الدواسر ، وما هجرة العتوب من مواطنهم النجدية أصلاً الا استجابة لداعي الاباء وانطلاقاً إلى حيث تتحقق الكرامة في النفس والعيش حتى ولو كان في ذلك العناء والخسارة والشواهد كثيرة منها على سبيل المثال هجرة تجار اللؤلؤ من الكويت إلى البحرين في عهد الشيخ مبارك الصباح(٥٤) وهجرة عشيرة آل بوعينين من قطر الى بلدة الجبيل سنة ١٣٢٧ هجرية(٥٥) . وقديمًا قال الشاعر العربي(٥٦) :

وإذا ما جفيت كنت حريا ... إن أرى غير مصبح حيث أمسي

٥٣) راجع قانون الغوص الكويتي .

٥٤) عبد العزيز الرشيد ـ تاريخ الكويت ـ ص ١٩٠ ، وراجع سيف مرزوق الشملان من تاريخ الكويت .

٥٥) خالد الفرج ـ مجلة البيان الكويتية ، عددها ١٥ يونيو ١٩٦٧ .

٥٦) الشاعر أبو عبادة البحتري من قصيدته السينية التي مطلعها .

صنت نفسي عما يدنس نفسي ... وترفعت عن جدا كل جبس

ولكن الانجليز فسروا هجرة الدواسر على أنها تمرد قبلي على حاكم يحاولون بسط سلطانهم عليه ، ظنوا وأنهم سيتمكنون من كسب الجولة مع الدواسر على أحد الوجهين ، فان أذعنوا لتهديداتهم التي وجهت اليهم قبل هجرتهم ، فمن أجل المزيد من الحجر على تصرفاتهم وكبت أصواتهم ، وإذا نفذوا هجرتهم فالي غير ردة ، يعملون ـ عن طريق الضغط على ابن سعود ـ على أبعادهم أكثر ، ويستثمرون تركهم ديارهم لاضعاف سلطة الحاكم الوطني ـ (الشيخ حمد) ـ كما قدمنا من قبل . والانجليز في الحالين يصدرون عن كراهية لهذه القبيلة الكبيرة ، والتي وقفت في صف الوطنيين والحركة الوطنية المناوئة لتصرفات سلطة الحماية ومحاولاتها المتواصلة للتدخل في شئون البلاد الداخلية وبخاصة خلال أحداث سنة ١٩٢٣ .

لكن ما حدث نأى كثيراً عن توقعات الانجليز الى أفق مصالحهم . فقد خاب أملهم في بسط سلطانهم على الحاكم فيما يتعلق بقضية الدواسر وعودتهم وإعادة أملاكهم وحقوقهم وقد استطاع هذا الحاكم (الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة) أن يتعامل مع الانجليز ومع الدواسر بمنتهى الحيطة والذكاء والدهاء ، وتمكن من استثمار نفوذ ابن سعود في كياسه وبراعة ، بينما استعان في مواجهة الانجليز بمنطق وطني صادق وحازم وموضوعي لا يخلو من دبلوماسية بارعة ، وذلك حين حمّل شيوخ الدواسر أنفسهم رسالة إلى ابن سعود دعاه فيها إلى التوسط لتبرير وقوفه إلى جانبهم وليقوى مركزه ويحرج غرماءه .

وكانت النتيجة أن غيرّ الانجليز موقفهم من قضية الدواسر كلية ، بل ومن سياستهم عموماً تجاه الشيخ حمد ، ولنتأمل في هذه السطور التي اخترناها من رسالة بعثت بها حكومة الهند الى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر في ٣٠ مايو ١٩٢٧ .[٥٧]

« الظاهر أننا ننجرف بصورة خطيرة نحو جعل البحرين جزيرة بريطانية ، وجعل الشيخ نهائياً[٥٨]، إنك إن لم تستعمل نفوذك الشخصي في تحويل دفة الأمور إلى اتجاهات

٥٧) رسالة من حكومة الهند الى المقيم السياسي في بوشهر رقم ١١٧٦ / س ـ ٣٠ مايو ١٩٢٧

٥٨) المقصود الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة.

أخرى فإننا نرى أن تطلع حكومة الهند على كافة الحقائق المتعلقة بالوضع السائد ، ذاكراً مالنا وما علينا ، مع توصياتك بالنسبة للمستقبل ، وإلا فهناك خطر وضع حكومة الهند وحكـومة صاحب الجلالة في مركز يجعلها تبدو وكأنها تناقض سياستها المعلنة ، ولعلّ الوقت آنئذ يكون متأخراً للهرب من هذا الموقف » .

كما تؤكـد مراسلة أخـرى من المقيم السياسي الـبريطاني في بوشهـر إلى حكـومـة الهند[٥٩] ، على ضرورة أن يكون مركز الشيخ حمد بن عيسى « أكثر حضوراً » .

٥٩) رسالة من المقيم السياسي في بوشهر إلى حكومة الهند . رقم ١٢ ٥ ـ ١ يونيو ١٩٢٧ .

المـراجع

أولاً : كتب عربية مطبوعـة :

١ ـ ابن منظور : لسان العرب دار لسان العرب / بيروت .
٢ ـ الدكتور / أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت الحديث ذات السلاسل / الكويت ١٩٨٤ .
٣ ـ جمال زكريا : الخليج العربي ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٧٣ .
٤ ـ حافظ وهبه : دار جزيرة العرب في القرن العشرين ـ مطبعة لجنة دار التأليف والنشر ـ الطبعة الخامسة ـ القاهرة ٦٧ .
٥ ـ حمد محمد السعيدان : المطبعة العصرية ـ الكويت ١٩٧٠ .
٦ ـ خالد سعود الزيد : ادباء الكويت في قرنين / المطبعة العصرية ـ الكويت ١٩٦٧ .
٧ ـ خالد الفرج : ديوان عبد الله الفرج ـ ذات السلاسل / الكويت .
٨ ـ سيف مرزوق الشملان : من تاريخ الكويت ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٥٩ ـ الطبعة الأولى .
٩ ـ عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت ـ منشورات دار الحياة بيروت : ١٩٧٨ .
١٠ ـ عبد الله بن حمد بن خميس : معجم اليمامة ـ ج ١ : منشوربات دار اليمامة للبحث والترجمة .
١١ ـ فائق حمدي طهبوب (الدكتور) ـ تاريخ البحرين الحديث ـ ذات السلاسل / الكويت / الطبعة الأولى ١٩٨٣ .
١٢ ـ فيصل ابراهيم الزياني : مجتمع الكويت ـ مطبعة دار التأليف البحرين ١٩٧٧ .
١٣ ـ مبارك الخاطر :
ـ الأديب الكاتب / ناصر الخيري (البحرين / مركز الوثائق التاريخية ١٩٨١) .
ـ المنتدى الاسلامي (البحرين / مركز الوثائق التاريخية ١٩٨١) .
١٤ ـ الدكتور / محمد عرابي نخله ـ تاريخ الاحساء السياسي ـ ذات السلاسل / الكويت ـ الطبعة الأولى ١٩٨٠ .
١٥ ـ الدكتور / محمد الرميحي : البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاقتصادي / دار ابن خلدون ـ بيروت ١٩٧٦ .